تأصيل الدّور التّربوي للمرأة "الحكّامة" في نشر ثقافة السّلام في دارفور

د. محمّد يوسف أحمد(*)

المبحث الأول
أساسيات البحث

مقدمة:

إنّ المجتمع السّوداني أحد المجتمعات التي تكونت نتيجة امتزاج عدد من الأعراق التي نزحت من الجزيرة العربية واختلطت بالعنصر الزنجي الأفريقي. والسّودان من الدّول التي أدركت المشكلات الاجتماعية وآثارها بين أجزاء السّودان المختلفة، واعترفت بواقع التّنوع الثّقافي والاجتماعي والسّياسي وغيره من الجوانب الحيويّة، ومن ثم تطور النّظر إلى إنسان الرّيف في شكل دراسات وبحوث تقوم بدراسة المجتمع من النّاحية الاقتصادية والثقافية والبيئية. ومجتمع دارفور تميز عن بقية المجتمعات السّودانية – من وجهة نظر الباحث بالتّسامح بين القبائل العربية وغير العربية التي تسكن الإقليم المتداخل في العديد من الجوانب التي ربطت عدد من المجموعات السّكانية بالإقليم وأصبحت إمكانية الوحدة متوافرة والتّعايش المشترك موجود وفق النّظم والتّحالفات والأخلاق التي تربط إنسان هذا الإقليم. وقد ظلت دارفور تحالفاً سياسياً ونسيجاً اجتماعياً متراضياً بسبب الضمانات الاقتصادية عبر العلاقات الخارجية والضمانات الإدارية التي تتمثل في اللامركزية التي تحترم الوجود المجتمعي من نظام الحواكير وغيرها حيث ارتبط الاستقرار والتّراضي الاجتماعي بقاعدة إدارية واقتصادية وآفاق سياسية ودبلوماسية رفيعة فيما انطلقت المجموعات

(*) أستاذ مساعد في المناهج وطرق التدريس، رئيس قسم العلوم التربويّة والنفسيّة بكليّة التربية جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة.

السّكانية تجاه بعضها البعض من خلال التّجارة والمصاهرة والتّعليم المشترك والتّواصل الإنساني.

فالمجتمع السّودانى له أعرافه وعاداته المتباينة ومن بينهـا مجتمـع دارفور له عاداته وسماته التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات السّودانية، فالكل يسعى لجودة وحماية مجموعته، وكما ترى في جميع أنحـاء العـالم ظاهرة القبيلة تنتشر وتسود بين أفراده ولكن إن استقلال أي دولة أو مجتمع لمصلحة القبيلة نفسها يختلف من بيئة إلى أخرى، لأنَّ البيئة لها دور بـارز وكبير في تشكيل وبناء القبيلة، فهناك مجتمعات تطورت فأصبحت القبيلة ما هي إلا وسيلة للتعارف، وهذا ما دعا إليه الإسلام، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنـدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[الحجرات:١٣] ومن ناحية أخـرى إنّ بعـض المجتمعات يستقلون القبيلة للتفاخر ومواجهة الغير واللجوء إليها في الظّواهر السّياسية والاجتماعية مما أظهر الجوانب السّالبة أو بعضها وفي مثل هـذه الظّروف والبيئات وبأزمانها المختلفة ظهرت ظاهرة الحكّامات وهي توجـد في كل القبائل في السّودان، وقد يختلف مسماها من مجتمع إلى آخر، ولكن في كل الأحوال أنّها تتفشى في المناطق الرّيفية، والحكّامة هي إحدى أمهات المجتمع الرّيفي أو المدني تتمتع بقدر كبير من الاحتـرام والتّقـدير وسـط المجتمع، وذلك تقديراً لدورها الرّائد في إبراز الصّورة الحية للمجتمع الّـذي تعيش فيه سلباً أم إيجابا، ويكِّن لها المجتمع احتراماً خاصاً فـي المناسـبات التي تجمع النّاس في مختلف الأغراض مثل النّفير والفزع وأنها تقوم بأدوار مختلفة حيث أنّها تستخدم قدرتها العقلية وشجاعتها الأدبية في تحريك وتوجيه شباب المجتمع إلى أي جهة شاءت.

فمن هذا الباب يتناول الباحث تأصيل الدّور الّذي تلعبه الحكَّامة في نشر ثقافة السّلام بدلاً عن الحرب والدّمار والتّناحر والتّأزم بين المجتمع وإمكانية بسط ثقافة البناء والتّنمية ومن ثم رتق النّسيج الاجتماعي بدارفور، مع توجه السّودان إلى نظامه السّياسي القائم على السّلام والعدالة الاجتماعية والسّياسية والثقافية وبالتّالي يمكن لدارفور أن تعود لعهدها السّابق بل أفضل كثيراً ويتم ذلك بقناعة مواطنيها بضرورة التّوحد واللحاق بركب السّلام وإمكانية الاستفادة من قطاع المرأة الحكَّامة.

مشكلة البحث:

لما كانت دارفور وحدة واحدة ومجتمع متماسك ومحترم كل القوانين السّماوية "دارفور اللوح" والقوانين المحلية "الإدارة الأهلية والحكومات" في يوم من الأيام لعبت الظّروف البيئية من جفاف وتصحر إلى احتكاك بين المجموعة الواحدة وسرعان ما تغيرت موازين الحياة، وظهرت التّغييرات في نظم الحياة الخاصة لمجتمع دارفور، حيث تفاقمت الاعتداءات وتغيرت الأحوال وبعد أن كانت الأطماع داخلية بين قبيلة وأخرى وبين جماعة وأخرى في مجتمع دارفور، أصبحت هناك يد أكبر حاولت استغلال الحال لكسب مآربها ومكتسباتها الشّخصية ومن ثم فعَّلت الأنظمة التي تدير المجتمع بأكبر صورة وعلى رأس رمح الحرب الحكَّامة ، مما أحدث بعض الأزمات وأشعل نعرات الفرقة والتّمسك بما نهى الدّين عنه، ومن ثم وجِد عراك بلا معترك، حيث أن نشاط المرأة الحكَّامة في مجتمع دارفور هو سلاح ذو حدين يمكن استقلاله نحو الفضيلة ويمكن خلاف ذلك.

وعليه يمكن تحديد مشكلة البحث في التّالي: **ما الدّور التّربوي للمرأة الحكَّامة في نشر ثقافة السّلام في ولايات دارفور في ضوء التّأصيل[القران والسّنة النّبوية المطهّرة].**

أسباب اختيار مشكلة البحث:

إن الظّرف الّذي يعيشه السّودان من خلال الجرح الّذي ينزف في أطرافه من خلال وجود اليد العابثة "التّدخلات الأجنبية" والتي لها مصلحة عظمى في تدمير البنية الاجتماعية وجني ثمار أهدافها من خلال فجوة الأزمة القائمة بين مجتمع الرّعاة والمزارعين، وترسيم حدود ومسارات وغيرها في ولايات دارفور، والذي يمكن أن يكون تأثير المرأة "الحكَّامة" التي لها القدح المعلى في الكلمة وذلك وفقاً لموقعها في المجتمع وتأثيرها فيه ومدى ارتباط المجتمع وتأثيره بأشعارها ونظمها وهديها.

فقد رأى الباحث إمكانية اشتراك الحكَّامة في بناء ما دمرته الحرب أكثر من مشاركة بعض الإدارات الأهلية في بناءه، هذا من جانب ومن جانب آخر فإنّ لها القدرة على تفعيل طاقات الشّباب "رجال، نساء" في تنفيذ كافة التّوجيهات والمشروعات التي تقوم بها الحكَّامة.

حدود البحث:

يجرى هذا البحث في حدود دور المرأة "الحكَّامة" في مجتمع دارفور ، وذلك عبر تاريخ الحكَّامة الطّويل الموجود من عصورالمماليك والسّلاطين القديمة وتأثيرها في مجتمع دارفور حتى ٢٠١١م.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في التالي:-

١- يمكن أن يسهم البحث في توضيح الدّور الايجابى الّذي يمكن ان تلعبه الحكّامة في الأزمة الدّارفورية المعاشة.

٢- إمكانية معالجة العديد من القضايا التي قد تفشل في حلها الجلسات والمؤتمرات الرّسمية في حلها حلاً جذرياً.

٣- تأكيد الدّورالايجابى للحكّامة واعتباره وتفصيله يساعد على استمرار الأمن والسّلام.

٤- يمكن معالجة العديد من الأخطاء بين القبائل ، و حل مشكلة التّناحر بين المزارع والرّاعي من خلال توجيه شعرها ونظمها الأدبي.

٥- يمكن تطوير الدّور التّربوي للحكّامة وإنشاء آليات علمية لتصبح الحكّامة الإنسان الدّاعية المرشدة في مجتمعها.

أهداف البحث:

من خلال الوقوف على الدّورالايجابى الّذي تلعبه المرأة"الحكّامة" في نشر ثقافة السّلام في دارفور، فإن البحث يهدف للآتي:-

١/ معرفة دورالحكّامة التّربوي للحكّامة وموقعها في مجتمع دارفور.

٢/ معرفة الجوانب المتعلقة بالحكّامة في نواحي الحرب والسّلم.

٤/ معرفة دور الحكّامة السّياسي في إمكانية بناء أو هدم الإدارة الأهلية والمجتمع في دارفور.

٥/ معرفة مدى الاستفادة من الدّور التّربوي للحكَّامة في تعديل سلوك المجتمع الدّار فوري من ثقافة الحرب والدّمار إلى ثقافة التّنمية والسّلام وبناء المجتمع وذلك من خلال منظمات المجتمع المدني.

أسئلة البحث:

تتمثل أسئلة البحث في التالي:-

١. ما الأدوار المختلفة التي تلعبها الحكَّامة في مجتمع دارفور؟
٢. إلى أي مدى يمكن أن تقود الحكَّامة المجتمع الدّارفوري نحو السّلام؟
٣. ما الأبعاد التي لعبتها الحكَّامة في فشل العديد من المصالحات بين القبائل؟
٤. إلى أي مدى يمكن أن تستفيد منظمات المجتمع المدني من تربية الحكَّامة في بناء ما دمرته الحرب ورتق النّسيج الاجتماعي؟
٦- ما النّظم العلمية التي يمكن ان توجه بها نشاط الحكَّامة نحو رتق النّسيج الاجتماعي وبناء مجتمع دارفور؟
٥. ٦-هل يمكن أن تصبح الحكَّامة داعية ومرشدة تربوية في مجتمعها؟.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التّحليلي.

مجتمع البحث:

يمثل مجتمع البحث تلك المجموعة النّسائية التي تقوم بنظم الأدب في مجالاته المتعددة، ويعرضن نظمهن الّذي يمثل سلاح ذو حدين في بناء المجتمع أو خلاف ذلك، واللائي يعتبرن أكبر شريحة نسائية أمية فاعلة في تحريك المجتمع وسكونه في دارفور.واللائي لا يستطيع الباحث وجود رقم

محدد أو معين لاستخدامه، باعتبار أنّ للقبيلة الواحدة أكثر من مائة شاعرة أو حكاَّمة ومن خلال استقراء خارطة دارفور للقبائل يوجد بها أكثر من "٣٥٠" قبيلة متعايشة في هذا الإقليم.

عينة البحث:

عمل الباحث باختيارالعينة القصدية واختار خمسين فرداً يمثلون عينة للبحث من أوجه نظر مختلفة شكلت في عنصرين الحكَّامات من جهة، وبعض الإدارات الأهلية والمهتمين من جهة أخرى، وذلك بنسبة (٧٠%) من العينة "حكاَّمات" و(٣٠%) من العينة إدارات ومهتمين ولهم دور واختصاص في المجال.

أداة البحث:

قام الباحث باستخدام المقابلة الشّخصية في جمع المعلومات وبيانات البحث، وذلك لضعف عملية الكتابة والقراءة عند بعض أفراد عينة البحث.

مصطلحات البحث:

الحكَّامة:- هي المرأة التي لها القدرة العقلية والبداهة في صياغة الشّعر ونظم النّثر والتّلحين ونشر جهودها في المناسبات المختلفة بكل شجاعة ولها موقعها الأدبى في مجتمع دارفور.

دارفور: هو ذلك الإقليم الّذي يقع في غربي السّودان المتمثل في ولاياته الثلاث الآن وهي [شمال وجنوب وغرب دارفور].

المبحث الثاني

مفاهيم في السّلام وثقافته

مفهوم السّلام:

إن الإنسان الدّى يعش وسط الرّقعة الاجتماعية له يجب أن يجعلها آمنة مستقرة على الرّغم من وجود الرّوح العدائية أحياناً، وعندما تكون هناك مشكلة من المشكلات فيجتهد ليجد لها حلاً حتى يستطيع البقاء والتّعايش بسلام.

إنّ للسلام عدة أنواع منها السّلام التّقليدي وهو الّذي يأتي نتيجة للتشاور بين الرّموز أو ما نسميهم بالأعيان وسادة القوم، وهؤلاء ينشئون على التّربية التّقليدية والتي تعنى أنّ الشّخص الكبير في العائلة بمثابة الزعيم أو السّلطان، فهولاء الأعيان يقومون بما يسمى الأجاويد، والجودية هي القيام بحل المشكلة أو التّدخل من قبل هؤلاء حتى لا يحدث خلل، أو عداء يؤدى إلى الموت[1].

ويرى الباحث أنّ ما أشار إليه الكاتب عبد الباسط حول السّلام التّقليدي هو ما تقوم به الإدارة الأهلية في السّودان تماماً ويختص بالإدارة الأهلية في دارفور، و قد يكون لهذا السّلام التّقليدي من قوة ومتانة من خلال توثيق العهود بين الحضور أو الأجاويد مما يصعب نقضه بأي حال من الأحوال. وهذا ما كانت تدير به الإدارة الأهلية مجتمع دارفور وأثبتت به درجة عالية من الاستقرار والتّعايش السّلمي قبل أنْ تتدهور كما هو الآن.

[1] عبد الباسط عبد المعطي. اتجاهات نظرية السلام في علم الاجتماع، القاهرة، عين شمس، ١٩٩٥م، ص٢٢.

أما مفهوم السّلام الحديث فهو الّذي يأتي نتيجة التّحاور والتّشاور من خلال المؤتمرات والنّدوات الحوارية والمفاوضات سواء بين المسئولين في البلد والمعارضة أم بينهم وبين الأعيان من البلاد الأخرى من أجل الوصول إلى سلام دائم، ونبذ التّفرقة، والبعد عن الحروب التي تعنى الدّمار للشعوب وهلاكها، وتعنى تدمير الطّاقات لكافة القوى الاقتصادية والعملية والثقافية والاجتماعية من القمة إلى القاعدة[1].

فأصبح مصطلح السّلام اليوم من أكثر الكلمات والشّعارات تتردّد على الالسّن في المحافل الدّولية وأصبح العالم بأجمعه يتسابق لأجل إدعاء هذه الكلمة الوادعة المطمئنة لنفسه ونفيها عن غيره، فكلمة السّلام هي أسم من أسماء الله الحسنى، وهي تحية أهل الجنة وتحية المؤمنين فيما بينهم في الدّنيا، وهي مصلحة الكتلة التي ترعي السّلام بغض النّظر عن أي اعتبارات إنسانية أخرى، وهذا هو السّلام الّذي تهدف إليه كل كتلة من الكتل المتصارعة على النّفوذ في العالم.

ويأتي السّلام في معنىً اصطلاحيّ آخر بأنّه مرحلة، قبل الأمن ويعرف بأنه الأمن والأمان والهدوء يعنى تأمين الدّول والمجتمعات البشرية من المهددات الخارجية ثم أخذ هذا المفهوم يتسع ليعنى الأمن الإقليمي والأمن القومي والأمن الغذائي والأمن الدّوائي والصّناعي[2].

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص٢٢.

[2] محي الدّين الإلوائي. السلام والقضايا الإنسانية، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩١م، ص ٣٥.

مفهوم ثقافة السّلام:

تعرَّف الثّقافة أنّها مجموع الآداب والفنون والصّناعات والحرف والعادات والتّقاليد والممارسات والطّقوس وفنون الأداء الحركية كالرّقص والدّراما، والتي تميز مجموعة من النّاس تكون قد توحدت بصفة دائمة أو مؤقتة بخبرات ومهارات ومعارف ومواقف مشتركة عبر الزمن. فالثّقافة بهذا الوصف تعطى المجموعة هويتها وتميزها عن غيرها من المجتمعات – ونجد أنّها بهذا المعنى تشمل المبادئ والقيم الرّوحية لدي الإنسان. ونشر هذه الثّقافة يكون بالخبرة والحوار الّذي يجعل هناك دراسة لحل المشاكل واسترجاع المعلومات حولها والاستفادة منها في تخطي العقبات التي تعترض التّسوية السّليمة وتحقيق السّلام العادل، وتولد هذه الأشياء الثقة بين الأفراد وتنفي وجود الرّيبة والشّكوك[1].

وبهذا المستوي يشير الباحث إلى أن الثّقافة هي لفظ جامع يصعب تحديده جغرافياً أو زمنياً كالحضارات الإنسانية التي يمكن تحديدها ، ويمكن أن تكون الثّقافة حصيلة للتجارب والخبرات الإنسانية والمعايير السّلوكية وحتى المعرفية: "تحدثوا إلينا لنعرفكم" فهذا يبين مستوى ونوع وثقافة المتحدث. فثقافة الشّعوب هي نمط حياتها فكراً وممارسة.

ومن ثم لابدّ لهذه المفاهيم حول الثّقافة من تطوير وتقصد بالتّطوير الممارسة الفعلية لها فالقيم تشمل احترام حق الحياة، الحرية، العدل، التّضامن، حقوق الإنسان، المساواة، الدّيمقراطية، التّنمية، فض النّزاعات سلمياً.

[1] عمر عبد السّميع. أحاديث الحرب والسلام والديمقراطية، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٩.

فثقافة السّلام هي الغاية التي ينبغي الوصول إليها بأن يصير السّلام من الثّقافة العامة للناس، وذلك لأنَّ الثّقافة هي أسلوب الحياة السّائد، في أي مجتمع بشري وهي التي تفرق المجتمع البشري عن المجتمعات الحيوانية. وأنّ ثقافة السّلام مرتبطة إلى حدٍ كبيرٍ بتحقيق مصادر العنف وإزالة أسبابه فكلمة الحوار والإصلاح لا يعنى فقط الدّيمقراطية والتّعديلات[1].

وثقافة السّلام تعني ثقافة التّعايش والتّشارك المبنية على مبادئ الحرية والعدالة والدّيمقراطية والتّسامح والتّضامن، وهي ثقافة ترفض العنف وتعمل لتثبيت الوقاية من النّزاعات في منابعها وحل المشاكل عن طريق الحوار والتّضامن[2]، ومن خلال المفاهيم الثقافية للسّلام يكون الهدف الأساس هو أنْ يعيش العالم بمختلف ثقافاته في جوٍ من التّسامح والوحدة، وبما أنّ السّلام هو هدف الأديان السّماوية وهو مفهوم لدي كل فرد من أفراد المجتمع، فلابدّ من المطالبة به ولابدّ من وجوده في المجتمع وإتاحة الفرصة لكل فرد أن يبذل مجهوداً من أجل السّلام والتّعايش السّلمى، بما في ذلك تلك الشّاعرة المؤلفة للقصائد في جوانب الحياة المختلفة والتي لها دور في مجتمع دارفور تلك المرأة "الحكَّامة" الماسكة على زمام تنشيط المجتمع وتفعيله، سلباً أم إيجاباً.

ومتى تحققت ثقافة السّلام لابدّ من تقدير واحترام الذّات "أعرف نفسك" وذلك بالتّعرف على أصل الإنسان والكون، وتكريم الإنسان

---

[1] المركز السّوداني. ورقة عمل، منهجية ثقافة السلام في السودان وآليات التعاون إقليمياً ووطنيّاً، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٦٧.

[2] محمد ناصر زعيتر. موسوعة أشدّ الناس عداوةً، دار الرضوان للنشر، ٢٠٠١م، ص١٥٦.

واستخلافه في الأرض وتقدير الموروثات العقائدية واحترام التّقاليد والأعراف، ومن ناحية يجب تقدير واحترام الآخرين "أعرف أخاك الإنسان" وهذا يأتي بالاعتراف بحق الآخرين في الوجود الإنساني وتبادل المنافع بين الأفراد والاعتراف بخصوصية الفرد وإلقاء الحواجز النّفسية التي تصنف الأفراد، وسماع الرّأي الآخر، ومحاورته بموضوعية بجانب الأمانة المتصلة بالمصلحة العامة ومصلحة الفرد. إضافة إلى المحورين يجب "التّعاون الإنساني في إطار الكليات الإنسانية وتنمية التّفاعل مع الآخرين" وهذا يكون بالاعتراف بوجود الآخر في كل الأنشطة الإنسانية والتّعامل مع الآخرين وفق الثوابت المتفق عليها واعتبار أن حرمة الإنسان مقدسة في كل الدّيانات والأعراف إضافة إلى حق المجتمعات الإنسانية في المحافظة على إرثها وعلي المحيط الحيوي لها[1].

مفهوم السّلام في الإسلام:

وردت لفظة السّلام في وحى القرآن الكريم، حيث قال تعالى: "هُوَ اللَّهُ الّذي لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ"[الحشر:٢٣] وقال تعالى: "فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ"[الواقعة:٩١] والإسلام من حيث كونه ديناً يعالج واقع الحياة أقرَّ بأن اللجوء إلى القوى أحياناً ضرورة لتحقيق الحق وإبطال الباطل والدّفاع عن العدل ورد الظّلم، فإذا الفرد قتل آخر دون حق، يجب أن يقتصّ منه حتى لا يتجرأ على غيره على العدوان وهذا قانون جماعي أقره الإسلام، قال تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[البقرة:

[1] نهى حسب الرّسول أحمد. الدور الإعلامي لمستشارية السلام في نشر ثقافة السلام، ٢٠٠٤م، ص٣٧.

١٧٩]وإذا كان العدوان بالقوة في الحرب، فانه في الإسلام لغاية إنسانية واضحة وذلك لتحقيق مصلحة اجتماعية راجحة – ومن ثَم فإنّ الحرب في الإسلام ليست مقصودة لذاتها لذلك لم يبدأ المسلمون الحرب قط وإنما اضطروا لها اضطراراً. ومن ثم فإن المبدأ واضح إذ أنّ الأصل في العلاقات بين الأفراد والمجتمعات ليس حرباً وإنما تعاون وتعارف على الخير وتحقيق المغزى الإنساني لوجود الإنسان على الأرض[١].

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"]الحجرات:١٣] وقال تعالى: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنّه مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ"[المائدة: ٣٢] وبناءً على ذلك يشير الباحث إلى أنّ المبدأ الحيوي للبشر هو السّلام والسّلم وليس الحرب وبالتّالي فإنّ قانون السّماء أكّد ذلك قبل القوانين الأرضية بأنواعها ما إذا كانت دولية أو جنائية أو خلافه، وعلى أنّ السّلام في تقدير الإسلام ينظم على أساس المعاهدات حتى يكون سلاماً فعلياً.

والسّلام يؤمر به الفرد في سلوكه اليومي كما هو معلوم إذا دخل الفرد الأسرة أو المنزل فليسلم وإذا طرق باب غيره فليسلم لذا نجد أنّ الإسلام أتجه إلى بذر بذور السّلام في البيت والأسرة وقصد بذلك إشعار

[١] انتصار حسن محمد. وظيفة العلاقات العامة في ننشر ثقافة السلام، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الدعوة والإعلام، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠٠٩م، ص ٢٣.

الطّمأنينة والرّاحة والأمان والشّعور بالحياة الآمنة المستقرة – ومن ثمَ جعل السّلام على الجماعة أن يسلّم عليها الدّاخل إليها والخارج منها، قال صلّى الله عليه وسلم: "إذا جاء أحدكم إلى المجلس فليسلم وإذا خرج فليسلم فليست الأولى بأحق من الثانية". رواه البخاري.

فالإسلام ينشد السّلام الدّاخلى والخارجي ويسعى إلى استقرار الأمة الإسلامية في علاقاتها بالأمم الأخرى. قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ[البقرة:٢٠٨]

مفهوم السّلام الاجتماعي:

يقصد بالسّلام الاجتماعي؛ السّلام الّذي تتفق حوله كل الشّرائع السّماوية والأعراف الاجتماعية بحتمية تحقيقه بين الأفراد والجماعات والدّول وذلك يعنى تنزيل معظم القيم الأخلاقية، إلى عالم التّطبيق في واقع الحياة البشرية، فالشّخص الّذي يؤمن بالسّلام ويسعى لتحقيق السّلام مع نفسه ومع أسرته، لابدّ أن يتمثل قيمة الصّدق والحرية والمساواة في الحقوق بين بنى الإنسان، ولابدّ من نبذ الأنانية وحب الذّات والرّغبة في التّسلط والطّغيان[١]. وبسط السّلام بين النّاس لا يتحقق من طرف واحد فلابد من وجود اتفاق على الحد الأدنى من النّظم والسّلوكيات التي تضمن للجميع التّعايش في أمن وسلام وفي عالم تحكمه قيم ومثل مشتركة. ولابدّ من التّمييز بين قيم السّلام وقيم الاستسلام. فالإيمان بالإسلام لا يتعارض مع الاستعداد لرد الظّلم والعدوان من الطّرف الباغي.

[١] ورقة بحثية عن: قضايا التعليم، اليونسكو بالتعاون مع وزارة التّربية والتّعليم، ٢٠٠١/٢٠٠٢م.

ويشير الباحث على أن السّلام لا يتحقق إلا إذا تضافرت جهود كل الأطراف في تنزيل قيمه إلى واقعٍ معاش. وهذا التّفرد بالنّسبة لقيم السّلام قد يؤمن بها فرد أو جماعة وتحكم سلوكهم ويتنكر لها الآخرون دون أن يؤثر ذلك علي الطّرف الأول، فالصّدق والأمانة والإيثار والكرم والشّجاعة مثلاً يمكن أن يتحلّى بها طرف ويتميز بها على الآخرين. ولكي يتحقق السّلام الاجتماعي بنفس القيم والمبادئ المطلوبة لابدّ أن يعتمد على جهات وهيئات أو نفر يقومون بمعالجة قضايا السّلام وبث ثقافته.

ولكل شرائح المجتمع دور في بناء السّلام ويرى الباحث أن لشريحة الحكّامات دور كبير وواسع في دعم وتركيز السّلام والطّمأنينة والاستقرار في المجتمع الدّارفوري الّذي أصبح دائرة وحديث العالم الإقليمي والدّولي – ومن ثم يمكن أن تلعب هذه الحكّامة دورها التّربوى الرّائد في بناء ما دمرته الحرب ونشر ثقافة السّلام في ربوع دارفور.

الأثر الاجتماعي للسلام:

الإنسان بطبعه كائن اجتماعي يحتاج إلى المجتمع ليعيش فيه ويتفاعل مع أفراده ولا يمكن للإنسان أن يخرج من الأسس والقوانين التي تنظم مجتمعه، وبتفاعله مع المجتمع يحتاج إلى السّلام الّذي تقوى به أواصر العلاقات بين أفراد المجتمع، وبإفشائه للسلام يحدث نوعاً من المحبة، والوداد وهذان أدعى للتعارف مع أفراد المجتمعات وبالتّعارف يتحقق التّصاهر والتّعاون والتّكامل بين أفراد المجتمع.

فالسّلام يحدث أمناً واستقراراً نفسياً للفرد، والأمن النّفسي يعنى التّحرر من الخوف؛ أي آمناً مطمئناً على صحته وعلى عمله ومستقبله

وأولاده وحقوقه ومركزه الاجتماعي، فإنّ حدث ما يهدد هذه الحاجات وهذه المطالب فالشّخص يفقد شعوره بالأمن، وحتى يشبع الفرد هذه الحاجات يجب عليه أن يعمل على اكتساب رضا النّاس وحبهم واهتمامهم ومساعدتهم العاطفية وبالتّالي يجب على المجتمع أن يحيط أفراده بضروب مختلفة من التّأمين الاجتماعي.

وشعور الفرد بالأمن هو شرط من شروط الصّحة النّفسية السّليمة، وأن الخوف هو مصدر الكثير من العلل النّفسية ومتاعبها، فأمن الفرد هو أساس توازنه النّفسي ومن ثم أمن الجماعة وهو أساس كل إصلاح اجتماعي[1].

ومن ناحية أخرى يشير الباحث إلى أنّه متى ما ذكر السّلام رادفته كلمة التّنمية. فمتى ما كان هناك سلامٌ في أي مجتمعٍ من المجتمعات لابدّ أن يتوقع أن تكون هناك تنمية وازدهار، ولعلنا لا ننكر أنّه كما للسّلام جوانب وآثار اجتماعية كذلك له آثاره الاقتصادية فعندما يبسط الأمن يعيش النّاس في استقرار دائم ومن ثم تنشط الحركة الاقتصادية بينهم سوى كانت بالإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية أو المعاملات التّجارية، وعند الاستقرار يتوسع النّاس في استزراع الرّقعة الزراعية وزيادة المحاصيل الاقتصادية ويتوافر المنتج الاقتصادي مما يشجع النّماء الاقتصادي في المجتمع ووجود الإنتاج الزراعي يؤدى إلى تحريك وتنشيط المعاملات التّجارية الأخرى ومن ثم يتوافر المال والخدمات...الخ.

[1] أحمد عزت راجح. أصول علم النفس، دار الشروق للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ص ٤٨.

المبحث الثالث

الحكَّامة وتداعيات الوضع في دارفور

تأثير الحكَّامة في مجتمع دارفور:

إن العادات والتّقاليد والأعراف السّائدة في مجتمع قبائل دار فــور، هي أن زعامة القبيلة ترثها سلالة مؤسس القبيلة، كابراً عن كابر عن طريق وراثة الابن الأكبر للسلطة أو أن تحتكر مجموعة "خشوم البيوت" التي تقطن الدّار إدارتها بحيث يتم اختيار النّاظر أو السّلطان أو الشّيخ بالتّناوب دون أن ينافسهم فيها غيرهم، باعتبار أن للأصليين أصحاب الدّار حقوقاً لا ينافســهم عليها أحد من القادمين الجدد، وعلى القادمين الجدد حق المواطنة والاستقرار دون المساس بالسّلطة السّياسية[1].

وقد يشارك الفرد من عامة الشّعب أحيانا فــي اختيــار الشّــخص المناسب ليتولى السّلطة من بين أفراد الأسرة الحاكمة ولكنهم لا يرشــحون أنفسهم لذلك المنصب احتراما للأعراف السّائدة التي تحرمهم هذا الحق، وإذا حدث أن تقدّم رجل مناسب من عامة الشّعب لهذا المنصــب تقــف ضــده أعراف القبيلة، رغم حنكته وجدارته للمنصب، وقد تنكــره رئيســة الأدب بالقبيلة "الحكَّامة" وتخلق من ادعاءه شعراً ونثراً يمكن إن يزعزع اســتقراره في الموقع المعين وقد يكون أحيانا خروج بلا عودة إلى وطنه نهائياً، فقــط عن طريق بيتين من الشّعر تلقيهما الشّاعرة الحكَّامة في مجتمع القبيلة، فــي

[1] التّجاني محمد صالح. الصراع القبلي في دار فور: أسبابه وتداعياته وعلاجــه، شركة مطابع السودان لعملة، الخرطوم، السودان،١٩٩٩م، ص١٠٢.

حين أن زيد من النّاس قد تسعى إليه السّلطة، والزعامة – وليس لـه مـن مؤهلات الحكم سوى عراقة الدّم وشرف الانتماء للبيت الحاكم[1].

ويشير الباحث إلى أن هذا التّدهور كان في مقدمتـه تلـك المـرأة الحكّامة التي لها دورها الرّائد في إمكانية تصحيح المجتمـع ومفاهيمـه إذا توفرت الظّروف المواتية؛ إذ أنّها تدعم صـورة الإدارة الأهليـة بشـكلها التّقليدي وهذه الأمية التي قد تكون مستوطنة في الرّجل الّذي يمثـل الجسـم السّياسي أو الإداري، ومن ثم يصعب التّعامل معه في حال التّطوير والانتقال إلى الأفضل ومن ناحية أخرى ما هو الدّور السّياسي الّذي يلعبه هذا الّـذي انساقت إليه السّلطة، بحكم العرق والأعراف. ومن ثـم لا توجـد علاقـات اتصال أو بما تسميها الدّبلوماسية الخارجية في عمليـة البنـاء والتّطـوير وبالتّالي لا حل له سواء قيادة المجتمع بشكله التّقليدي المتخلـف ومـن ثـم خروج العديد من أبناء دارفور المتعلمين من دون التّفكير في العـودة إلـى ولاياتهم لعدم قبول وجهات نظرهم العلمية المنطقية، ويأتي رفـض وجهـة النّظر العلمية لأنَّ مقدمها ليس من الأسرة المالكة أو المسيطرة على القبيلـة أو بصورة أن الأفكار وهي التي صنعت معول الهدم والطّرد عبر تعبيراتها التي تعبر بلسان حال المجتمع عن أي جديد إلا عن طريق الشّيخ والشّرتاي أو خلافه من رجل الإدارة الأهلية[2].

[1] أحمد إسماعيل. ورقة عمل، الإدارة الأهلية بجنوب دار فور: الدور والإشكالات، جامعة نيالا، ٢٠٠٤م، ص٥.

[2] آدم الزين والطّيب أحمد. ورقة عمل بعنوان: رؤى حول النزاعات القبليـة فـي السودان، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، الخرطوم، ١٩٩٨م، ص١١.

ومن ذلك قول الحكَّامة أو شعرها في أحد الأفراد يقوم بطرح رأيه لأحد الشّرتاي يبدى فيه وجهة نظره، فقامت الحكَّامة[1]:-

سفيهاً من تبَّ ** قال بقول ليه قول

أبوك وين أنت ** ياصغيراً مبدول

اقعد في أرض الله ** شرتايتنا ببلع زول

وهذا موضع فقط والذي يقال في هذا الجانب كثير جداً رصد منه الباحث ما لا يسع له هذا المجال.

وبمرور الزمن سرعان ما تغير الحال إذ أن الدّور الّذي كانت تقوم به الحكَّامة في بناء وتوازن المجتمع تغير إلى نزع فتيل الحرب والدّمار، فمنذ الثمانينيات ظهرت التّغيرات عندما ظهرت عصابات النّهب المسلح في مظهر يعلنون فيه تحديهم لرجال الشّرطة وحتى رجال الإدارة الأهلية وقادتهم الذين كانوا يسمعونهم ويتبعون لهم وتطور أمرهم إلى أن صار قطع الطّرق المؤدية بين المدن "نيالا – الجنيه" "نيالا – الفاشر" "الفاشر – الجنينة" ، وأصبحت دارفور مكان الخوف والقلق بدلاً من الأمن والسّلام[2].

وفي هذا الجانب سيعرض الباحث بعض أشعار الحكَّامة التي تدعم خط النّهب المسلح وسياسة الغبن والفتنة التي تطورت إلى أن فقدت فيه الدّولة الغالي والنّفيس من أبنائها:

إحدى الحكَّامات:-

رَاجْلاً فِي الفَرِيق أسداً بِسَوِّي الزّينْ

[1] مقابلة شخصية مع الحكامة/ مفطومة على. ٢٠٠٨م.

[2] عبد السّلام جمعة عبد العزيز. ورقة عمل عن: مستقبل الإدارة الأهلية في دار فور، مركز دراسات السلام، جامعة زالنجي، ٢٠٠٨م، ص٦.

ولاَ زولاً بَعيد مَا مَعْرُوف سَمح لاَ شَينْ
يا أسد الفَريق نَهب يومَينْ
ولاَ اغْترَاب سَنَتَينْ

أخرى تنشد:-

منقسو بكى، لما الطّير اشتكى
فارسنا بيه إتكى، جاب وسكت طفلنا البكى

وأخرى تروى نفس المجال:-

ألما قطع وحزّم بالكلاش
يتقنع بطرحة اختو ومرته منه بلاش
راجل يا وليدنا السّارح في الزرع كش كاش

وأخرى من الحكّامات:-

يا المتبلم خواف للرجال عافي
جفال راجل القبيلة لي أهله راح حافي
مبروك القنيص تعال الحضن دافي

جمعتُ هذه الأشعار من جماعة متفرقة "مجموعة مقابلات" في قائمة المصادر".

ومن ثَم فقدت الإدارة الأهلية السّيطرة على الوضع الأمني والسّياسي، وانفلت الأمر بعد كانت الحكّامة لها دور في تنشيط الجانب السّالب لها في المجتمع، فبينما كان هناك دور يربط الإدارة الأهلية بالشّاعرات والحكّامات وأفراد مكانتهن وقدسيتهن حتى لا تميل كفة الموازين ولكن ضعفت صورة الإدارة الأهلية لأسباب عديدة ومختلفة ومن ثم اتجه

نظم الحكَّامة في أدبها وشعرها لما يشعل نيران الحرب والأزمة في مجتمع دارفور.

كما ترى في الأشعار التي وردت للحكَّامة فهي أوقع ما تكون في الفرد الدّارفوري الّذي يتقيد بأشعار حكَّامته ويتبع لها ويدفع لها كل غالٍ ونفيس طمعاً في ذكره في أشعارها ومدحه في الاحتفالات ومناسبات الصّفقة كما يعرفها مجتمع دارفور.

إعداد وتدريب الحكَّامة تربويا نحو ثقافة السّلام ورتق النّسيج الاجتماعي بدارفور:

إن مجتمع دارفور له خصوصيته في التّميز في بناء العلاقات الاجتماعية ونظام الأسرة وتكوينها وكيفية تعامل مجتمعه في القضايا صغيرها وكبيرها وقد اتسمت الحياة الدّارفورية بالتّسامح في أغلب تاريخ دارفور ونشأتها بين القبائل المختلفة "العربية وغير العربية" التي تسكن هذا الإقليم حيث العلاقات مبنية بدرجة عالية من التّراضي والتّوافق ولا خلاف يذكر بين الرّاعي والمزارع ولا توجد هناك مشكلات لقضايا المسارات ولا الحواكير وغيرها[1].

ويمكن القول إنّ دارفور كانت مسرحاً لحياة اجتماعية ذات طابع خاص عرفه العديد من الذين كانوا على قرب من هذا المجتمع أي الذين تنقلهم إلى دارفور الظّروف الحياتية أو العملية "الوظيفية" فكانوا يضربون المثل لأخلاق المجتمع وقتها.

[1] موسى آدم يوسف. ورقة عمل عن: النسيج الاجتماعي ودور الحكامات في تقويته، مركز دراسات السلام، جامعة زالنجي، ٢٠٠٥، ص٨.

وظلت دارفور تحالفاً سياسياً ونسيجاً اجتماعياً متراضياً بسبب الضمانات الاقتصادية، والإدارية، والعلاقات الخارجية التي تحترم الوجود الإنساني بدارفور حيث ارتبط الاستقرار والتّراضي الاجتماعي بقاعدة إدارية تدير شئون الإقليم في الحدود المعلومة، له بكل دبلوماسية حتى أصبحت صفة التّزاوج بين القبائل المتداخلة شيئاً طبيعياً يؤكد حسن التّواصل الإنساني[1].

وفي ظل التّداخل والتّواجد القبلي المعروف في دارفور كانت الحكّامة أحدى أركان المجتمع الدّارفورى بنشاطها الثقافي ودورها الاجتماعي والذي يعتبر سلاح ذو حدين – فالحكّامة توجد في كل قبيلة من قبائل السّودان بصفةٍ عامة وفي مجتمع دارفور وقبائله بصفةٍ خاصة ويفوق عددهنّ في القبيلة الواحدة أكثر من مئة حكامة ويتنافسن فيما بينهنّ في شعرهن وأدبهنّ الموجّه نحو المجتمع إيجاباً أم سلباً. وهذه الإيجابية أو السّلبية تنشأ حسب مقتضيات وتداعيات الظّرف الّذي يفرضه الواقع المعاش في الزمن المحدد فكلما ضعف جانب، وقفت الحكّامة في الجانب الآخر. ولابدّ أنّ للحكّامة دوراً إيجابياً كبيراً متى ما استطعنا أن نوظف ذلك توظيفا سليماً ومناسباً، يمكن تطوير دور هذه النّاشطة المتمرسة تربوياً في حركة المجتمع وسكونه كيف شاءت، وهذا التّطوير ينبغي أن ينصب تحت جهود تركيز دعائم السّلام وثقافته، وذلك عن طريق المؤسسات التي تتبنى نظم الأمن والسّلام في المجتمع أو تنظيم ذلك عبر منظمات المجتمع المدني التي

[1] المرجع السابق نفسه، ص٤.

تعمل وتدعم تطوير ثقافة السّلام وإعداد وتدريب المجتمع عليها وعلى رأس ذلك المجتمع المرأة الحكَّامة، علما بان لها ظواهر إيجابية إذ أنّها[1]:-

١- تقوم بعكس الصّورة الإيجابية للسلام الاجتماعي بين القبائل، متى ما أعدت له وجهزت له وفق خطة علمية مدروسة. حتى لا تتراجع عن دفع دعمها لثقافة السّلام.

٢- إنّها تدعو إلى الفضيلة، ومحاربة الرّذيلة مثل الزنا والسّرقة...الخ.

٣- تدفع الشّباب إلى الكسب والاجتهاد من أجل الزواج ونبذ العزوف عنه وذلك من خلال المدح عبر شعرها في المناسبات وغيرها.

٤- أنّها تشجع الشّباب على الانخراط في العمل الطّوعي.

٥- أنّها تشجع على التّعليم وذلك من خلال المدح للذين نالوا الدّرجات العلمية العليا، وذم الأميين.

٦- انها تستنفر الشّباب للعمل الجماعي "النّفير والفزع المشترك" وذلك عبر الأغنية التي تقدمها.

ويرى الباحث أنّه لابدّ من إعداد الحكَّامة وتدريبها وتطوير جهدها الثقافي والاجتماعي نحو بناء المجتمع وإرساء دعائم نشر ثقافة السّلام في دارفور. ومن ثم إذا ما كان هناك جهد نحو احتواء الحكَّامة وتطوير أدائها نحو المجتمع.. ويصبح الأمر جلياً إن الحكَّامة ليست إلا كتلة أدبية في القبيلة تمدح ما شاءت وتذم ما شاءت وتشتم في النّقارة والصّفقة ومجتمع النّفير في الحصاد والزراعة وعملياتها الممرحلة والمختلفة.

[1] الطّاهر حاج النّور. ورقة عمل عن: الإدارة الأهلية في دار فور، ٢٠٠٥م، ص٣.

ولكن رغم هذا الفراغ الّذي لا يجيب عليه أحد حول لمن تؤول إدارة الحكَّامة حيث أنّها سيّدة نفسها لا سيّد لها، وبما أنّ الحكَّامات يشكلن المجتمع ويستطعن دفعه إلى الأحسن أو الأسوأ يرى الباحث ضرورة إدماجهنّ أو إدراجهنّ واستيعابهنّ في منظمات المجتمع المدني مثل الاتحاد العام للمرأة السّودانية والتي تعمل على بنائه وتطويره وتهذيبه، لأنَّ منظمات المجتمع المدني مثل الاتحاد العام للمرأة السّودانية والاتحاد الوطني للشباب السّوداني وغيرها من المؤسسات الموجودة في المجتمع والتي تقوم بالدور نفسه، وإلى جانب ذلك؛ فإنَّ من أدوارها وأهدافها الأساسية صياغة المجتمع السّوداني للتمسك بالأهداف السّامية للبلاد وتطوير المجتمع نحو الأفضل ومحاربة كل العادات الضارة، وإنها تضم – منظمات المجتمع المدني – في عضويتها كل شرائح المجتمع دون انتماء لحزب أو قبيلة بل هي تضم كل وطني غيور على بلاده.

فيمكن استيعاب كل الحكَّامات في منظمات المجتمع المدني وتطوير أدائهن وتزويدهن بروح الدّين وتعليمهن سلوك ومنهج الهداية الرّباني نحو بناء المجتمع المسلم حتى يكون مدحها وغناؤها للفضيلة دون سواها.

ويشير الباحث إلى أنّه عند اكمال برامج الإستيعاب ووضع الخطط والإعداد والتّدريب لقطاع الحكَّامات يمكن أن تجد المفاتيح التي عبرها يمكن تحقيق التّنمية والطّمأنينة والسّلام ومن ثم يسود التّعايش السّلمي المنشود لذا كانت الحكَّامة تنشد الشّعر الحسن وتدفع المجتمع نحو الفضيلة كما كان في السّابق، وصياغة الحكَّامة في إنسان موشح بقيم القرآن وفضيلة الهدى الرّباني ودعوة المصطفي محمد صلي الله عليه وسلم.

تطوير دور الحكّامة في تنمية ونجاح التّفاوض والصّلح في دارفور:

يمكن معالجة القضايا بين النّاس من خلال وسائل عديدة، قد يكون القتال جزءاً منها، أو عن طريق السّلم عن طريق مؤسسات القضايا في المحاكم أو التّحكيم أو التّوفيق أو الوساطة أو الحوار المباشر والحوار أفضل من الوساطة وقد تعلو على التّوفيق والتّحكيم والتّوفيق والتّحكيم أحسن من اللجوء إلى المحاكم. إنّ حل القضايا ومعالجة الوسائل والمشكلات يكون أفضل عن طريق الحوار حتى عندما تكون احتمالات وفرص النّجاح محدودة. وذلك لأنَّ الأصل في العلاقات بين النّاس السّلام وما القتال إلا انحراف عن القاعدة. والدّين الإسلامي يحث على التّعايش في سلام – ولعل من نافلة القول الإشارة إلى أن الإسلام يجعل السّلام واتقاء الشّقاق والصّراع والاقتتال مبدأ يعمقه في وجدان المسلم، ويدعوه لتوطيده في نفسه حتى يصير عقيدة سمحة[1].

فالإسلام يقدس الحياة السّلمية ويحبب النّاس إليها ويرسم سبل الطّريقة المثلى للمعايشة والسّلام الاجتماعي ويوجب بحق لسان العدو "وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً"[النّساء:٩٤]. وكفى شأناً للسّلام أنْ جعله الله اسماً من أسمائه، واسم دارٍ في الجنّة، وجعل اسم الإسلام مشتقٌ من مادته.

[1] إبراهيم أبو عوف. ورقة عمل عن: تنمية مهارات التفاوض، مركز دراسات السلام، جامعة نيالا، ٢٠٠٢م، ص٥.

فالسّلام هو الأصل والقتال هو خروج عن القاعدة والحوار هو الخطوة الأولى لعودة الحياة إلى مجاريها. ويصبح الحل هو الحوار بحيث يتفاوض العباد للوفاق والاتفاق كلما بدر شجار أو خلاف.

ويشير الباحث إلى ضرورة دور الحكَّامة في المجتمع الدّارفوري في جميع مراحل التّفاوض المختلفة وضرورة الاهتمام بدورها التّربوى الفاعل تجاه كل الأطراف المتصارعة والمتنافرة وكم مجلسٍ للجودية عقد لحل مشكلةٍ ما، كان للحكَّامة الدّور الأساس في فضه دون نتيجة، بل يمكن أن يكون بيت من الشّعر بمثابة صبّ الزّيت على النّار، ويأتي الدّور الإعدادي والتّدريبي للحكَّامة في المراحل التّالية[1]:-

أ/ تطوير مشاركة الحكَّامة قبل التّفاوض:

التّفاوض يعنى عملية التّلاقي والتّعامل والتّكيف بين الأطراف المتفاوضة بهدف الوصول إلى اتفاقٍ مرضٍ نسبياً عن طريق الحوار وتداول الآراء ووجهات النّظر، وعادة يلجأ الأطراف إلى أسلوب الحوار عندما يتضح لهم أنّ من غير المحتمل تحقيق ما يرغبون فيه عبر عمل منفرد كاللجوء إلى القوة.

وتصبح مرحلة ما قبل التّفاوض وهي مرحلة طور الاستعداد والتّخطيط وتحديد إطار عام يوضح المسار والطّريق. هنا يظهر دور الحكَّامة في أنّها تعِد الأطراف المتناحرة والمتشاحنة للجلوس لهذه المفاوضات عبر رصانة شعرها المسموع وتوجيهاتها المنفذة فوراً. ويرى الباحث أنّ هذا الجانب مفقود تماماً في العديد من جلسات الصّلح التي تمت

[1] محمد يوسف أحمد. ورقة عمل بعنوان: تدريب الحكامات لنشر ثقافة السلام، مركز دراسات السلام، جامعة زالنجي، ٢٠٠٤م.

في دارفور بين العديد من القبائل المتناحرة وإنما يكون صدر المجلس على المستوى المتفاوض إذا كانت فعاليات الإدارة الأهلية أم كانت هيئات، وفرق أخرى ولكن دوماً يجهل دور الحكَّامة التي تهئ الطّرفين نحو التّفاوض بصورة هادئة.

ويشير الباحث إلى أن هذا الدّور المجهول للحكَّامة يظهر عندما عقد مجلس بين قبيلتين للصلح في إحدى قرى زالنجي وعند التّحضير أنشدت إحداهن:-

*ويُنو زوّلنا منْ زولهم *** بَدُورْ سلاحِي نَلْحق مقتولهم*

فما كان مصير التّفاوض، إلاّ الفشل وما قامت مفاوضات بعدها فكيف يكون الأمر لو استصحبت مفاهيم الحكَّامة في هذه المرحلة؟

ب/ تطوير دور الحكَّامة أثناء سير التّفاوض:-

إنّ عملية التّفاوض رغم مفهومها البسيط إلا أنّها عملية معقدة في نظم إجراءاتها وتنفيذها فهي تحتاج إلى أسلوب معين وتحتاج إلى جو معين ويتطلب فيه ودية العلاقة والرّؤى لوجود مصلحة مشتركة بين الأطراف المتفاوضة والعمل على جمع الأطراف وأن يقنع كل طرف أنّه جزء يكمل الآخر حيث الاستفادة من مزايا كل طرف واستغلال الموارد والإمكانات المتاحة لكل طرف وتوظيفها بطريقة تخدم الهدف المشترك، وفي الظّرف الّذي يأخذ فيه الطّرفان الأسلوب العملي المثالي بكل تجرد للسعي للوصول إلى حل المشكلة أو معالجة المسألة بطريقة البحث عن تحقيق ذلك بنظم مقبولة ومعقولة. يجب مراعاة دور الحكَّامة الشّاعرة التي يمكن أن يؤثر دورها سلباً إذا أهمل وإيجاباً إذا ما روعيت وظيفتها الاجتماعية وكم من جلسات للصّلح أثناء التّفاوض تغيرت مجريات جلسة الصّلح إلى عراك

ومعترك إثر كلمات تفوهت بها الحكَّامة، غيرت بها مجريات الأحداث ومن ذلك إحدى جلسات الصّلح والمصالحة في إتلاف مزرعة أحد المزارعين:-

قالتّ إحداهن:-

سَمْحَة الرّتْعَانَة فِي الخَضَار والفُولهْ

مَا تَقُولِي لَي أطْرُدِيها يَا زولهْ

شَينات خِلّقَكنْ: كلاشي الفِيكَنْ سَمح قُولَهْ

وبعد هذه الأبيات تغيرت مجريات الجلسة الصّلحية دون جدوى وتأزمت الأمور بعد أن كانت الجلسة تنذر بنتائج مقبولة من أشكال الصّلح والاتفاق.

ج/ تطوير دور الحكَّامة بعد مرحلة الصّلح والمصالحة:-

وهي مرحلة ما بعد التّفاوض أو ما بعد الصّلح والاتفاق، وهي بمثابة الانتصار والتّفوق ونجاح الحوار وهي بذرة ذلك الحوار وفيه قد يلتزم الطّرفان

بمعاهدة أو بنود تكفل لهم الحياة الطّيبة الكريمة المبنية على التّعايش السّلمي والسّلام المنشود، وهنا نشير إلى عدم تجاهل الحكَّامة ودورها الّذي يحافظ على توازن الأطراف حتى لا يتم نقض للعهد أو مكانة المفاوضات واندلاع الأزمة من جديد.

فالحكّامة دورها رائد خاصة في مجتمع دارفور فمتى ما فعّل وطور هذا الدّور وتم بناءه بصورة علمية وصحيحة يمكن أن تسد ثغرة كبيرة من فجوات المجتمع الدّارفوري.

لذا لابدّ من اعتبار وجود الحكَّامة في صور ومراحل الحوار المختلفة قبل وأثناء وبعد الحوار. حتى ولو لم تتم المصالحة بين

الأطراف المتشاحنة يجب رعاية دور الحكَّامة ، لحفظ توازن سلوك الأطراف.

تأصيل عمل الحكَّامات:

إنّ الجهود التي تقوم بها الحكَّامة في مجتمع دارفور من شانها أن تصلح المجتمع إذا ما استفاد منها ووجهت نحو بناء المجتمع لا هدمه، إذ أنّنا نجد من يستمع إليها ويقوم بتنفيذ كل مطالبها دون أدنى تردد. وأن الدّين الإسلامي الحنيف يحث كافة النّاس ويدعوهم إلى التّمسك بمبادئ السّلم لا الحرب ويدعوهم إلى الأمن لا الخوف "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ"[البقرة:٢٠٨].

فيمكن تأصيل جهود الحكَّامة وتوجيه شعرها نحو بناء المجتمع بمبادئ الدّين الإسلامي الحنيف ونربط الحكَّامة بالعهد الأول للرسالة ، بحيث تقدم نموذجاً للدعوة الإسلامية التي تدعو إلى الوحدة والاعتصام لا الفرقة والشّتات والتّمسك بقيم الدّين المتثلة في نصوص من شاكلة (كلكم لآدم وآدم من تراب)، و(لا فرق لعربيّ على عجميّ إلا بالتّقوى).

عندما تتعرّف الحكَّامة على أنّه (من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجوره شيئاً وأنه من دعا إلى ضلالةٍ كان له من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)، وأنّ (الفتنة أشدّ من القتل)، بعدها تتغيّر المفاهيم في تنسيق الشّعر وروايته ومن ثم إلى أهدافه وغاياته الأسمى بدلاً عن الصّورة الهدامة للمجتمع، ويمكن أن يكون الدّور الرّسالي للحكَّامة قد تحقق. وهذا من وجهة نظر الباحث

الخاتمة

في الختام يؤكد الباحث أن مجتمع دارفور لا زال مجتمعاً قبلياً تحكمه الأعراف والتّقاليد والموروثات القبلية، وأنّ معظم الصّراعات والحروبات التي شهدتها دارفور نشبت بسبب مخالفة البعض لتلك الأعراف وخروجهم عن النّظم المتعارف عليها كمشكلات المسارات والمراحيل والنّزاع حول الأرض والحواكير وديار القبائل وممارسة النّهب المسلح ودور الحكّامة الكبير في وجود بعض الأزمات وعدم الانتباه للدور الحساس الّذي يمكن أن يضمد جراح النّزاع من الأطراف وقد يرجع ذلك لهوى الإدارة الأهلية – "بعضها" – في عدم توفيقها في قراءة المؤشرات الاجتماعية، والسّياسية التي تلعبها هذه الحكّامة والاستخفاف بالدّور الفاعل في استمرار الأزمة وتطويرها.

وعليه فإن الاهتمام بدور الحكّامة والاعتراف بفاعليتها والعمل الجاد على تطوير هذه المرأة الشّاعرة المؤثرة يضمن لكل الحادبين لمصلحة دارفور والذين هم في القيادة السّياسية من نجاح كل المؤتمرات والورش والجلسات التي تعقد من أجل بناء وتنمية ثقافة السّلام والتّعايش السّلمي في دارفور.

أ/ أهم النّتائج:

١. الحكّامة عنصر أساس من عناصر تكوين المجتمع في دارفور، ويمكن أن تلعب دوراً فعالاً في تشكيل المجتمع الدّارفوري.

٢. لم تجد الحكَّامة منذ نشأتها الأولى برنامجاً علمياً ينمي قدراتها العقلية، في صياغة وصناعة الشّعر، وإنما كانت تنتج شعرها وتسوقه على أسماع العامة ويتفاعل معه من يهمه الأمر.
٣. ضعف العلاقة بين بنية الإدارة الأهلية في دارفور وموقع الحكَّامة الشّاعرة منه، حيث لا يوجد ارتباط في مجالسّ الإدارة الأهلية ما يحتوى على الحكَّامة ودورها الرّائد والمؤثر في مجتمع دارفور.
٤. ضعف جهود الإدارة الأهلية في دارفور، دعّم اتجاه ضحالة شعر الحكَّامة من تناول ثقافة السّلام ونشرها في أوساط المجتمع المتخاصم.
٥. لعبت أمية الكتابة والقراءة دوراً كبيراً في تشكيل الحكَّامة وشعرها. أي أن الحكَّامة تجهل الكثير من أمور الدّين الإسلامي والشّرع الرّباني الّذي يمثل النّور الإلهي والبصيرة التي يهتدي بها الفرد في حياته.
٦. كان لبيئة دارفور الأثر الكبير في تفعيل الحكَّامة نحو الاتجاه السّالب في أدبها وشعرها حيث الجفاف والتّصحر وضعف الموارد أحياناً وضيق اليد وتردي الأحوال الاقتصادية كان له كبير الأثر في توجُّه المرأة الحكَّامة في دارفور.
٧. ضعف دور مؤسسات المجتمع المدني في برامجها ومنتدياتها.
٨. لا يوجد دور للمؤسسات التّعليمية والخلاوي والشّيوخ وعلماء الدّين، نحو تطوير أداء الحكَّامة وتوجيه أفكارها لتصنع مجتمعاً تسود فيه المحبة والوئام مبني على أساس شرع الله وهدى رسوله صلي الله عليه وسلم.

٩. رغم جهود الحكَّامة غير الموجهة يمكن إيقاظ الرّوح الدّينيـــة وتفعيـــل مؤسسات المجتمع المدني لبناء شخصية الحكَّامة وجعلها عنصراً مربيـــاً في المجتمع، وإبعادها عن جو المهاترات وتأجيج نيران الفتنة بين القبائل المتعايشة في دارفور

ب/ أهم التّوصيات:

من خلال العرض الّذي يمكن أن يفي بدور الحكَّامة فـــي المجتمـــع الدّارفورى ومما يظهر من المفهوم الشّامل لنظم التّعايش السّـــلمي يوصـــى الباحث بالآتي:-

١. ضرورة إقامة برنامج علمى ينمى قدرات الحكَّامة وذلـــك مـــن خـــلال السّمنارات والمؤتمرات والمخيمات الدّعوية لتطوير و تدريب الحكَّامـــة في مجتمع دارفور نحو ثقافة السّلام.
٢. على المؤسسات التّعليمية المختلقة الاستفادة من مواهب وفكر الحكَّامـــة وتوجيهه نحو قضايا الاستقرار والسّلام في دارفور.
٣. على مؤسسات المجتمع المدني الاهتمام بالبرامج والمناشـــط التّربويـــة للحكَّامة وذلك من خلال برامج تحفيظ القرآن الكريم وتـــدريس علـــوم الحديث – والفقه وبرامج الصّيام والحديث الإيماني.
٤. ضرورة تفعيل جهود الحكَّامة وقيام المنافسات بين مجتمع الحكَّامات في تحفيظ القرآن والبرامج الدّعوية لرتق النّســـيج الاجتمـــاعي، وتكـــريم المبدعين اللائي ينشدن الشّعر الحسن.
٥. ضرورة إظهار دور الإخاء والتّوأمة بين القبائل عن طريـــق حكامـــات القبائل المختلفة، وتطوير إنشادهن نحو تلك التّوأمة.

٦. يجب على الإدارة الأهلية الاستمرار في برامج المصالحة بين القبائل ومشاركة الحكّامة في ذلك حتى تتم عملية المصالحة بصورة محكمة لقبائل دارفور.

٧. الاهتمام بإعداد وتدريب المرأة والحكّامة على وجه الخصوص بإعداد برامج وزيارات وتبادل مع اتحادات المرأة في السّودان وذلك من أجل كسب قيمة السّلام والتّعايش السّلمي.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع:

١- أحمد عزت راجح، أصول علم النّفس، دار الشّروق للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

٢- التّجاني محمد صالح، الصّراع القبلي في دارفور أسبابه وتداعياته وعلاجه، شركة مطابع العملة،الخرطوم،السّودان،١٩٩٩م.

٣- عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية السّلام في علم الاجتماع، القاهرة عين شمس، ١٩٩٥م.

٤- عمر عبد السّميع، أحاديث الحرب والسّلام والدّيمقراطية، القاهرة الدّار المصرية، ١٩٩٨م.

٥- محمد ناصر زعيتر، موسوعة أشد النّاس عداوة، دار الرّضوان للنشر، ٢٠٠١م.

٦- محي الدّين الإلوائى، السّلام والقضايا الإنسانية، القاهرة مكتبة وهبة، ١٩٥١م.

ثالثاً: الرسائل الجامعيّة والأوراق العلميّة والمقابلات الشخصيّة:

١. انتصار حسن محمد، وظيفة العلاقات العامة في نشر ثقافة السّلام، ماجستير، غير منشورة، كلية الدّعوة والإعلام، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية،٢٠٠٩م.

٢. نهى حسب الرّسول أحمد، الدّور الإعلامي لمستشارية السّلام في نشر ثقافة السّلام، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أفريقيا العالمية الخرطوم،٢٠٠٤م.
٣. إبراهيم أبو عوف، ورقةعمل، تنمية مهارات التّفاوض، مركز دراسات السّلام، جامعة نيالا، ٢٠٠٢م.
٤. أحمد إسماعيل، ورقة عمل، الإدارة الأهلية بجنوب دارفور الدّور والاشكلات، مركز دراسات السّلام، جامعة نيالا، ٢٠٠٤م.
٥. آدم الزين محمد والطّيب احمد، ورقة عمل، رؤى حول النّزاعات القبلية في السّودان، معهد الدّراسات الأفريقية والآسيوية،الخرطوم،١٩٩٨م.
٦. الطّاهر حاج النّور، ورقة عمل، ،الادارة الاهليةفي دارفور،٢٠٠٥.
٧. اليونسكو بالتّعاون مع وزارة التّربية والتّعليم، ورقة، قضايا التّعليم، ٢٠٠١-٢٠٠٢م.
٨. عبدالسّلام جمعه عبد العزيز، ورقةعمل، مستقبل الإدارة الأهلية في دارفور، مركز دراسات السّلام، زالنجي، ٢٠٠٨م.
٩. المركز السّوداني الثقافي والإعلامي، ورقةعمل، منهجية ثقافة السّلام في السّودان وآليات التّعاون اقليمياً ووطنياً، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٠. محمد يوسف احمد، ورقةعمل، تدريب الحكّامات لنشر ثقافة السّلام، مركز دراسات السّلام،زالنجي، ٢٠٠٤م.
١١.موسى آدم يوسف، ورقةعمل، النّسيج الاجتماعي ودور الحكّامات في تقويته، مركز دراسات السّلام، زالنجي، ٢٠٠٥م.

١٢. إبـــراهيم حنطـــور، معلـــم بمرحلـــة الأســـاس زالنجـــي، أشـــعار الحكَّامات،٢٠٠٨م.
١٣. آدم حامد، معلم تعليم رحل، زالنجي، عن أشعار الحكَّامات، ٢٠٠٨م.
١٤. كلتوم الدّومة، معلمـــة مرحلـــة الأســـاس، زالنجـــي ،عـــن أشـــعار الحكَّامات،٢٠٠٨م.
١٥. نبوية أدومة أحمد، حكامة قرية حلة بيضة، زالنجي، ٢٠٠٨م.
١٦. هلالية عبد الـــرّحمن، حكامـــة، منطقـــة فاطمـــة كـــرل، زالنجـــي، بمنزلها،٢٠٠٨م.
١٧. كلتم يحي حسن، حكامة"، حى دور لى زالنجي، بمنزلها،٢٠٠٨م.
١٨. مبروكه أدومه، حكامة،حي أم دفوفو، بمنزلها، ٢٠٠٨م.